الخطبة الأولى : ورجل قلبه معلق بالمساجد

الْحَمْدُ لِلهِ وَفَّقَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى الْخَيْرِ فَلَيْسَ عَنْهُ يَعْدِلُوْنَ وَحَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْعَمَلَ الْصَّالِحَ فَلْيسَ فِيْ غَيْرِ مَرْضَاتِهِ يَطْمَعُوْنَ وَأَثَابَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ثَوَابا جَزِيْلا فَإِيَّاهُ يَحْمَدُونَ وَيَشْكُرُوْنَ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه صَاحِبُ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيْعِ آَلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالْتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْدِّينِ . أَمَّا بعدُ: فأوصيكم ...

عن أبي هريرةَ ﷺقال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ...خ.م.

عباد الله: المساجدُ مَهْبِطُ الملائكةِ، ومَثْوَى الصالحينَ فِي الأرضِ، فيهَا يَصِلُ المسلمُ حِبالَهُ بِحِبالِ السماءِ، ويُزَكِّي نَفْسَهُ، ويَسْمُو بِرُوحِهِ، فِي الْمَسَجِدِ يَجِدُ الْمُؤْمِنُ رَاحَتَه وَ أُنْسَه؛ حَيْثُ يُنَاجِي رَبَّهُ وَ مَوْلاهُ، وَيَتَوَجَّهُ إِلَىَ بِارِئَهْ بِالْرُّكُوعِ وَالْسُّجُودِ، وَالتِّلاوَةِ وَالْدُّعَاءِ، فذاكَ (رجلٌ قلبُه معلقٌ في المساجدِ)

قال ابنُ حَجَرٍ «وفي قوله: وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ مِنَ التَّعْلِيقِ، كَأَنَّهُ شَبَّهَهُ بِالشَّيْءِ الْمُعَلَّقِ فِي الْمَسْجِدِ، كَالْقِنْدِيلِ مَثَلاً، إِشَارَةً إِلَى طُولِ الْمُلَازَمَةِ بِقَلْبِهِ؛ وَإِنْ كَانَ جَسَدُهُ خَارِجاً عَنْهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ رِوَايَةُ: «كَأَنَّمَا قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ».

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَلَاقَةِ، وَهِيَ شِدَّةُ الْحُبِّ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ رِوَايَةُ أَحْمَدَ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَكَذَا رِوَايَةُ «مِنْ حُبِّهَا»» اهـ.

وقال النَّوَويُّ: «ومعناه: شَدِيدُ الْحُبِّ لَهَا، وَالْمُلَازَمَةِ لِلْجَمَاعَةِ فِيهَا، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ دَوَامَ الْقُعُودِ فِي الْمَسْجِدِ» اهـ

.

ومِمَّا يدلُّ على ما قال النَّوَوِيُّ، مِن أنه لا يَلْزَمُ من تعلُّقِ القلبِ بالمَسجدِ داومُ القُعُودِ فيه ما أتى في رو ايةٍ أخرى للحديثِ، وفيها قال ﷺ: «وَرَجُلٌ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ، إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ» م.

وهي تعني انْتِظَارَ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، فَلَا يُصَلِّي المَرءُ صَلَاةً وَيخرجُ مِن المَسجدِ، إلَّا وهو مُنْتَظِرٌ وقتَ صَلَاةٍ أُخْرَى، حَتَّى يُصَلِّيَ فيه.

قال ابن رجبٍ: فهو يحبُّ المسجدَ ويألفُهُ لعبادةِ اللهِ فِيهِ ، فإذا خرجَ مِنْهُ تعلقَ قلبُه بِهِ حَتَّى يرجعَ إِلَيْهِ ، وهذا إنَّما يحصلُ لمن ملكَ نفسَهُ وقادَها إلى طاعةِ اللهِ فانقادتْ لَهُ ؛ فإنّ الهوى إنَّما يدعو إلى محبةِ مواضعِ الهوى واللعبِ ، إمَّا المباحُ أو المحظورُ ، ومواضعِ التجارةِ واكتسابِ الأموالِ ، فلا يقصرُ نفسَه عَلَى محبةِ بقاعِ العبادةِ إلا من خالفَ هواهُ ، وقدمَ عَلِيهِ محبةَ مولاهُ فهو ممن قال اللهُ تعالى فيهم: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)

وقد جاء عنه ﷺ (لَا يُوَطِّنُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللهُ بِهِ حَتَّى يَخْرُجَ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ، إذا قَدِمَ عَلَيْهِم". أحمد .

عبادَ اللَّهِ: إنَّ التَّعلُّقَ بالمساجدِ من سماتِ المؤمنينَ، وخصالِ الصالحينَ، وطبيعةِ المتقينَ، وإنَّ تَعَلُّقَ قلبِ المُسلمِ بالمَساجدِ يَسْتَلْزِمُ تعلُّقَ قلبِه بالصلاةِ، ويَسْتَلْزِمُ -أيضاً- صلَاتَه بالجَماعةِ، فليس قلبُه مُعَلَّقٌ بالمَساجدِ مَن لم يُصَلِّ فيها مع جماعةِ المُسلمين، وهو قادرٌ على ذلكَ .

ومن عظيمِ ما يحضُرُ في هذا المَقامِ شِدَّةُ تَعَلُّقِ قلوبِ الصحابةِ ﷺ بالجماعةِ وبالمَساجدِ، ذلك التَّعَلُّقُ الذي وصفه ابنُ مَسْعُودٍ ﷺوصفاً بليغاً، حيثُ قال: «وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ؛ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ». م.

فهذا الرجلُ لا يستطيعُ أن يمشيَ بمُفْرَدِه، بل لا بُدَّ أن يَكْتَنِفَه رجلانِ، أحدُهما عن يمينِه، والآخَرُ عن شمالِه، حتى يُقِيمَاه في الصَّفِّ، وعلى أنَّ هذا الصحابيَّ المُهادَى معذورٌ، وربَّما يُمكِنُه أن يُصَلِّيَ جماعةً في بيتِه؛ إلَّا أنَّ حبَّه للجماعةِ وللمَساجِدِ قادَهُ إلى السَّيْرِ إليها، والإقبالِ عليها،

فيا لَلَّهِ، ما هذا الحبُّ الذي أَزْعَجَ صاحبَه؟! فجعله يَسْتَحْلِي مرارةَ المَتاعبِ،ويستسهلُ جَلَائِلَ المَصاعبِ.

قَالَ ﷺ: «إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا، الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ» أَحْمَدُ.

معاشرَ المُسلمين: إنَّ من أَمَاراتِ تَعَلُّقِ القلوبِ بالمَساجدِ الجلوسَ فيها لمَن لم يكن له ما يدعوه إلى الخروجِ منها، سواءٌ كان ذلك الجلوسُ لانتظارِ الصلاةِ، أو للذكرِ وقراءةِ القرآن؛ بل مُجَرَّدُ الجلوسِ في المَسجدِ عبادةٌ لمَن أراد به خيراً؛ ما لم يُحْدِثْ أو يُؤْذِ أحداً.

فأمَّا الجلوسُ في المَساجدِ لِانتظارِ الصلاةِ، فإنَّ أجلَّه أن تُنْتَظَرَ الصلاةُ بعدَ الصلاةِ، وهذا ممَّا يرفعُ اللَّهُ به الدرجاتِ، ويَمْحُو به الخطايا، وهو من الرِّباطِ في سبيلِ اللَّهِ؛ بل هو الرِّباطُ الأكبرُ، وهو مِمَّا يُبَاهِي اللَّهُ بصاحبِه ملائكتَه؛ بل صاحبُه تدعو له المَلائكةُ، ويكتبُ اللَّهُ له أجرَ المُصَلِّين.

فأَمَّا رَفْعُ اللَّهِ به الدرجاتِ، ومَحْوُه به الخطايا، وكونُه من الرِّباطِ في سبيلِ اللَّهِ؛ فلقولِه ﷺ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:

«إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» م.

وأمَّا أنه هو الرِّباطُ الأكبرُ؛ فلقولِه ﷺ: «مُنْتَظِرُ الصَّلَاةِ مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ، كَفَارِسٍ اشْتَدَّ بِهِ فَرَسُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى كَشْحِهِ، تُصَلِّي عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ اللهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، أَوْ يَقُومُ، وَهُوَ فِي الرِّبَاطِ الأكبرِ» أحمدُ.

وأمَّا مُباهاةُ اللَّهِ بصاحبِه ملائكتَه، فقد قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَغْرِبَ، فَعَقَّبَ

مَنْ عَقَّبَ، وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، فَجَاءَ ﷺ، وَقَدْ كَادَ يَحْسِرُ ثِيَابَهُ عَن رُّكْبَتَيْهِ، فَقَالَ:

«أَبْشِرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَاباً مِّنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى» أحمدُ وغيرُه.

وأمَّا دعاءُ المَلائكةِ له؛ ما لم يُؤْذِ أو يُحْدِثْ، وكونُ مُنْتَظِرِ الصلاةِ يُكْتَبُ له أجرُ المُصَلِّين؛ فلقولِه ﷺ: «وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ؛ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ، مَا لَمْ

يُؤْذِ فِيهِ» وَقَالَ: «أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ» خ.م.

وظاهرٌ من هذا الحديثِ أنَّ دعاءَ المَلائكةِ يشملُ منِ انتظرَ الصلاةَ الحاضرةَ، ومنِ انتظرَ الصلاةَ الأخرى بعدَ صلاتِه، فمَنِ انتظرَ الصلاةَ الحاضرةَ كُتِبَ له أجرُ المُصلِّي، ويشهدُ لذلك أن أَنَساً ﷺ قال: أَخَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِشَاءَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ كَادَ يَذْهَبُ شَطْرُ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَنَامُوا، وَإِنَّكُمْ لَمْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلَاةَ» خ.م.

بل يُكْتَبُ له أجرُ المُصَلِّي قبلَ ذلك وبعدَه، من حينِ يخرجُ من بيتِه حتى يعودَ إليه،

قال ﷺ: «وَالْقَاعِدُ يَرْعَى الصَّلَاةَ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ» أحمدُ و ابنُ خُزَيْمَةَ.

فيا ليتَ أولئك الذين يستعجلون إقامةَ الصلواتِ في المَساجِدِ، يعلمون أنهم في صلاةٍ ما انتظروا الصلاةَ! ألا فاتقوا الله عباد الله وتذكروا قولَ الحقِّ في علاه (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ

وَالأبْصَارُ) فاللَّهُمَّ أَعِذْنا من أهواءِ نفوسِنا الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ، وعلِّقْ قلوبَنا بالمَساجِدِ. بارك الله ...

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للهِ ...أما بعدُ:

فيا عبادَ اللَّهِ: في قولِه ﷺ السالِفِ: «وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ؛ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ».

في هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ المَلائكةَ تدعو لمَن جلس في مُصَلَّاه بعدَ الصلاةِ؛ ولو لم يذكرِ اللَّهَ، ما دام أراد بجلوسِه التَّعَبُّدَ، ولم يُحْدِثْ، أو يُؤْذِ أحداً،

قال ابنُ رَجَبٍ: «وليس فِي هَذَا الحَدِيْثِ، ولا فِي غيرِه من أحاديثِ البابِ الِاشتراطُ للجالسِ في مُصَلَّاه أن يكونَ مُشْتَغِلاً بالذِّكْرِ؛ ولكنَّه أفضلُ وأكملُ» اهـ.

فيا لَه من أجرٍ عظيمٍ أن تنالَ دعاءَ المَلائكةِ بغيرِ تَعَبٍ، وما هو التعبُ الذي يَلْحَقُك وأنت جالسٌ وصَامِتٌ؟!

عِبَادَ الله: تَأَمَّلُوا قَولَهُ ﷺ: (قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ) تَأَمَّلوا هَذِهِ الكَلِمَةِ؛ وقَد انصَرَفَتْ قُلُوبُ أُنَاسٍ وأَبْدَانُهُم

عَن المَسَاجِدِ، وهم يُنَادَونَ: حَيَّ عَلى الصَّلاةِ، حَيَّ على الفَلَاحِ.

ألا فلتتقِ اللهَ يا من يَدعوكَ داعي اللهِ ولا تجيبُ ، فقد جاءَ رَجُلٌ أَعْمَى إلى النبيّ ﷺ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَجِبْ)

م.

يا من هجرتَ المسجدَ: هل ستُعلِّقُ قلبَك ببيوتِ اللهِ وتحرِصُ على صلاةِ الجماعةِ، لتكونَ في ظلِّ اللهِ تعالى في يومٍ عظيمِ الخطبِ، شديدِ الكربِ ...

ثم صلُّوا وسلِّموا ...